عزيز المصرى يتوقع هزيمة رشيد عالى الكيلانى

- تاريخ الخيانة فى سياسة البلاد العربية..
- اخترنا مطار" الخطاطبة" ولكن..
- خبرة البارون التائه فى الصحراء.!
- كيف ادعيت أنى مريض بقلبى.؟
- الحظ الملعون يتربص عند الهرم..
- سقوط طائرة عزيز المصرى.!

كان اعتقالى خاتمة لفترة من فترات الكفاح الذى بدأناه يوم استقر عزمنا عليه فوق تباب الشريف.. إلى جوار منقباد..

ولم يكن هذا الكفاح يستطيع أن يتصل طول الوقت، فقد قلت أن جمال عبد الناصر كان قد نقل إلى السودان، وأن تشكيلنا الأول كان قد تشتت هنا وهناك.

وكانت الأحداث قد دفعت بعضنا لكى يعمل، فيعمل بروح التشكيل، وفكرته.. واتصل فى ذلك بمن استطاع الاتصال بهم، وتصرف وحده حين أعوزته المشورة..

وقد تلا هذا الاعتقال أحداث.. وسبقته أيضاــ غير ما ذكرت ــ أحداث..

وكانت كل هذه الأحداث، وثيقة الصلة بالتمهيد للثورة التى كنا نقوم به، وبالعمل الفعلى الذى كانت الأحداث تدفعها إلى القيام به..

ولكي يتم اليوم ما نستطيع سرده من تفاصيل هذه الثورة وتمهيداتها سأروى قصة الدور الفعلى الذى قام به عزيز المصرى، الذى أدى إلى اعتقاله ومحاكمته..

كنا قد عدنا من الصحراء الغربية، عقب رفضنا أوامر تسليم السلاح إلى القوات البريطانية.

وكنا كما أسلفت، قد عقدنا العزم على الاتصال، بعزيز المصرى، وعلى ماهر..

ولم يتم اتصالى بعلى ماهر، ولكنى اتصلت بعزيز المصرى، على النحو الذى ذكرته..

ورغم التحفظ والحذر الشديد اللذين كنت ألتزمهما كلما ذهبت إليه ألا أننى فوجئت ذات يوم بالقائمقام موسى لطفى، مدير المخابرات المصرية وقتذاك، وهو يقول لى أننى التقى بعزيز المصرى هنا وهناك.

وأن المخابرات البريطانية التى تراقبه، قد وضعتنى أنا أيضا تحت المراقبة!!

وسالت القائمقام موسى لطفى عما يريده منى..

فسكت ثم قال:

- **أنى فقط أحذرك..**

وفهمت أن تحركاتى كانت مكشوفة وذكرت لهذا الرجل إحسانه إلى بكشف هذا السر لى..

اللحظة الحاسمة

وبدأت أزيد من حذرى، ولكنى لم أقف اتصالى، بعزيز المصرى، ولا بالجماعة التى كنت ألقاها من تشكيلنا..

www.anwarsadat.org

وكان شغلنا الشاغل فى تلك الفترة، هو مراقبة تطورات هجوم المحور فى الصحراء الغربية.. كنا نتتبعه ساعة بساعة، ونحن نستعد ونتكتل انتظارا للحظة الحاسمة..

وكان يوم من أيام الصيف فى علم 1941..

كنت عائدا إلى منزلى، عقب نزهة قصيرة أعقبت فيها نفسى من متاعب التفكير وتوار الأعصاب، ولم أكد ادخل البيت، حتى أخبرت بأن عزيز المصرى قد مر بى، فلما لم يجدنى طلب أن أتوجه إليه فور حضورى..

وكانت هذه الزيارة من عزيز المصرى، وهذا الطلب أيضا، يحملان فى طياتهما بالنسبة إلى، شيئا خطيرا.

فلا بد أن شيئا قد وقع، وأننا على وشك أن نخوض إحدى المعارك.!!

وغادرت منزلى فورا.. وأسرعت إلى عزيز المصرى.

وجلس عزيز يروى لى تفاصيل مثيرة، ألهبت حواسى، وجعلتنى اعتقد أن ساعة البدء، قد تحددت..

وأننا فى الطريق إليها..

قال لى عزيز المصرى أن الألمان قد اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم.. وأنهم يرحبون بخبرته فى شئون الشرق الأوسط والعرب، وأنهم على أتم استعداد لاختطافه، ونقله إلى قيادتهم، حيث تستطيع خبرته أن تلعب دورا عمليا كبيرا..

إذن فقد بدأت نذر الماطرة.. ولن يكون العمل داخليا فقط، وأنما سيكون هناك تنسيق لخطة من الداخل مع خطة أخرى مع الألمان..

وكان يجب أن نقرر هل نقوم بهذه المخاطر، أم نرفض القيام بها.. وكان علينا أن ندرس كل ذلك على أساس الاعتبارات والظروف المختلفة المحيطة بنا.. فى القاهرة..

ففى هذا الوقت كانت الحكومة ومن خلفها مخابرات الإنجليز تشك فى نوايا عزيز المصرى، وتتوقع منه أن يهرب إلى الخارج ومن أجل هذا سحبت منه جواز سفره، ووضعت عليه رقابة شديدة..

ولم يقابل عزيز المصرى هذا الأجراء بالرضى، بل توجه إلى المسئولين، وطلب منهم أن يسمحوا له بالسفر إلى الخارج فعلا. فرفضوا هذا الطلب..

ومعنى هذا، أن كل حركة من حركات عزيز المصرى كانت تسجل وتحسب عليه..

وأكثر من هذا أن حكومة مصر، ومخابرات الإنجليز كانتا تتوقعان سفره هذا من ناحية..

أما من الناحية الأخرى التى جعلت عزيز المصرى يشعر كأنه سبع قد حبس فى قفص من حديد.. فهى قيام ثورة رشيد عالى الكيلانى فى ذلك الوقت بالعراق.!!

الساسة العرب!

كانت هذه الثورة، هى المتنفس الحقيقى الوحيد لنا، هنا فى مصر.. وأكنا نتابع أنباء هذه الثورة، فى حماسة بالغة، ونعلق عليها آمالا واسعة..

ولكن نظرتنا إلى هذه الثورة، كانت تختلف كل الاختلاف عن نظرة عزيز المصرى..

كانت نظرتنا مليئة بالارتياح والحماسة والتفاؤل..

واكانت نظرتنا مليئة بالضيق والتشاؤم..

فقد كنا فى شبابنا وحماستنا، نريد أن نصنع ما صنعه رشيد عالى الكيلانى..

ننقض على الإنجليز ونعلنها عليهم فى أزمتهم ثورة مسلحة..

وكانت هذه البداية من رشيد عالى هى المفتاح الذى رأيناه يفتح لنا الطريق، ويشعل نار شعوب هذه البلاد على الغزاة فيها..

ولكن عزيز المصرى، كان يسمع أنباء هذه الثورة فينتابه الضيق والعصبية، ويملأه التشاؤم..

وكنا نسأله فى ذلك.. فيقول:

- **أنتم لا تعرفون رجال السياسة فى العراق مثلما أعرفهم..**

وكان يسترسل فى حديثه فيروى لى قصصا من خيانات الساسة العرب أو أكثر الساسة العرب على الأصح، منذ اتصل بالأحداث فى عهد الدولة العثمانية، وكان إذ ذاك يرعى الحركة العربية.

وكان يسمع أنباء هذه الثورة، ثورة رشيد عالى، فيتوقع الخيانة، وتتجسم له الخناجر التى لابد أن يطعن بها رشيد فى ظهره...

وكان يتصور هذا المصير، لتلك الثورة المخلصة، فيكاد ينفجر غيظا، وكمدا..

هروب عزيز المصرى

ولم نكن نحن.. حتى آخر لحظة، نشاركه هذا الشعور، أو نقبل منه هذا الكمد..

هذان الظرفان: المراقبة الشديدة المفروضة عليه من الحكومة والإنجليز.. وثورة رشيد عالى التى كان يتوقع لها أن تطفئها الخيانة.. كانا هما العاملين الرئيسيين فى تكييف الموقف عندما عرض الألمان عرضهم عليه، أن يخطفوه لستفيدوا من خبرته فى وضع خططهم..

وفكر عزيز المصرى.. وفكرت معه.. ثم استقر رأينا على وجوب سفره.. وعدم إفلات هذه الفرصة...

وفى اليوم التالى، عاد عملاء الألمان إلى عزيز المصرى، فأبلغهم قراره بالقبول..

ووضع الألمان خطة الاختطاف..

طلبوا منا أن نحدد لهم مكانا خارج القاهرة يصلح لنزول الطائرات.. وقالوا انهم بمجرد معرفة هذا المكان، سيرسلون طائرة تحمل العلامات الإنجليزية لتهبط فيه.. ويكون عزيز المصرى فى انتظار الطائرة.

وعلى الفور تناولنا الخرائط، واخذنا نحن الاثنين، ومعنا زميلى عبد المنعم عبد الرؤوف ندرس جميع الأماكن، وندرس أيضا كل الاحتمالات.

اخترنا مطار الخطاطبة.. ولم يكن مطارا بالمعنى المفهوم، وأما كان مجرد أرض صالحة لهبوط طائرة.!

وقمنا ثلاثتنا لاستكشافه بعربة عزيز المصرى، ثم حددنا مكانه على الخريطة بالطريقة الطوبوغرافية العسكرية.. وأرسلناه إلى الألمان.!

وبدأنا نحن ننتظر الموعد الذى سيحدده الألمان لهبوط طائرتهم" الإنجليزية" فى أرض الخطاطبة..

ولكن دهشتنا كانت شديدة عندما جاءنا رد من الألمان، يرفضون فيه فكرة" الخطاطبة" ويعينون منطقة" جبل رزة" على طريق الواحات البحرية، مكانا للقاء..

البارون التائه

وأخذنا ندرس أسباب هذا التغير.. فوجدنا أن الألمان كانوا على حق وأنهم على دراية تامة بصحرائنا، ومعرفة حقيقية بوسائل الهروب من مصر.. ولعل هذه الخبرة قد اكتسبت عن طريق الرحلات التى قام بها كشافوهم ورحالوهم قبيل الحرب والتى تاه فى إحداها أحد بارونا تهم فى صحرائنا..

لهذا قبلنا هذا التغير، وحددنا يوم السفر..

كنا إذ ذاك فى يوم أربعاء، وكان سفر عزيز المصرى قد تحدد له يوم السبت التالى على الفور...

ولا أدرى كيف توقعت مخابرات الإنجليز، أننا على وشك اتخاذ خطوة خاصة...

فقد صدرت إلى فى نفس اليوم ــ يوم الأربعاء ــ أوامر بالنقل إلى الصحراء الغربية فورا، وانباتى مدير السلاح، وهو يصدر إلى أمره، وجوب سفرى فى اليوم التالى مباشرة.. يوم الخميس..!!

ولم يكن لهذا النقل أسباب.. وأنما كان أمرا واجب التنفيذ فحسب..

ووقفت حائرا أمام مدير السلاح اللواء أحمد الصاوى، وهو يصدر إلى آمره. وكان على أن أختار، أما أن أسافر فى الموعد المحدد وأما أن أرفض السفر، ومعنى هذا إعلان عصيانى لأوامر الجيش فى ظروف حرب..

وهى أخطر تهمة يمكن أن توجه إلى ضابط فى الجيش...

وخرجت من عند مدير السلاح، وتوجهت إلى عزيز المصرى، لأعرض أمرى عليه..

ولكنه رفض أن يشير بشئ على وفوض لى الأمر كله. والشئ الوحيد الذى اتفقنا عليه هو وجوب سفر عزيز المصرى فى الموعد الذى تحدد فعلا.. وأن يكون عبد المنعم عبد الرؤوف فى صحبته.. حتى تطير به طائرة الألمان..

وقد تركت الأمر لهما، وتوجهت أنا إلى المستشفى العسكرى صباح الخميس.. وأعيت أنى اشعر بالآم مترتبة على مرض فى القلب أصبت به أثر حادث تصادم كان قد وقع لى..

ولم يكن صعبا أن أحصل على أجازه مرضية من المستشفى العسكرى وأن أبطل بذلك،ــ ولو مؤقتا ــ أمر النقل إلى الصحراء..

وقضيت يومين فى المستشفى أترقب يوم السبت، وأتعجله.

سوء الحظ

وجاء يوم السبت.. وزارنى فى نهايته عبد المنعم وكان حزينا مبتئسا.!! أن الرحلة لم تتم، ولم يستطع عزيز المصرى أن يصل إلى" جبل رزة" ولم يكن السبب انكشاف أمر هذه الرحلة، ولا رقابة البوليس، ولا أى شئ من كل الأسباب التى تطوف بالذهن لاول وهلة..

ولكنه كان القدر..

فقد خرج عزيز وعبد المنعم بسيارة جديدة اشتريت خصيصا لهذا الغرض.. وسارت بهما السيارة شوطا، وإذا بها تتوقف عن السير فجأة على مقربة من الهرم، وقبل أن تدخلا بها طريق الواحة البحرية، الذى كانت الطائرة الألمانية ستهبط فيه.

وكان الاتفاق أن تهبط الطائرة عند الغروب، وأن يصعد إليها عزيز بمفرده، ثم يتصل بنا عن طريق اللاسلكي فور وصوله إلى خطوط الألمان.

وقال لى عبد المنعم، أنهما لم يتمكنا من إصلاح العطب الذى أصاب السيارة، فتركاها فى مكانها بعد أن فات الوقت المحدد لهبوط الطائرة..وعادا..!

وقال لى أيضا: أن عزيز المصرى فى حالة عصبية شديدة بسبب هذا الحادث.

ومضى بعد ذلك يومانـــ ثم أتصل أحد رجال الألمان بعزيز المصرى وابلغه أن الطائرة قد أتت فى موعدها، وأنها حومت حول المكان، ولم تجد الإشارة المتفق عليها، فعادت..

ثم مرت أيام كثيرة، دون أن يجدد الألمان اتصالهم بعزيز المصرى..

وكان لابد لاجازتى المرضية أن تنتهى..

وكان لابد ن أرحل إلى الصحراء الغربية...

ورحلت فعلا، تاركا كل شئ لعزيز المصرى وعبد المنعم عبد الرؤوف

المحاولة الثانية

وأكاد أتصور الآن الأيام التى مرت بعزيز المصرى بعد ذلك، على ضوء ما أعرفه عنه، وما لمسته من أنه إذا صمم على شئ لم تستطع قوة أن توقفه عن المضى فيه..

فقد كان عزيز قد صمم على الذهاب إلى خطوط الألمان، وكانت هذه الفكرة قد اختمرت فى رأسه، واصبحت مسيطرة على تفكيره وآماله.. وكان من الصعب بعد ذلك انتزاع هذه الفكرة من رأس الرجل..

ومرت أيام قليلة، وإذا به يكلف عبد المنعم بأن يبحث له موضوع سفره، على متن طائرة مصرية..

وبدأ عبد المنعم دراسته، ثم أتصل بقائد الفرقة الجوية حسين ذو الفقار، وأتفق على أن يعد خطة السفر.. وأن يكون هو الذى يحمل عزيز المصرى إلى الألمان.

وتحدد موعد السفر، فى ليلة كان فيها ذو الفقار هو الضابط العظيم بالمطار.

وحمل ذو الفقار عزيز المصرى فى إحدى الطائرات.. وطارت الطائرة بهما..

ولكن القدر كان بالمرصاد أيضا.. فقد سقطت الطائرة.. وقبض على الرجلين ووضعا فى السجن..

وبعد أن قضى عزيز المصرى عاما ونصفا فى السجن، نقل إلى" ميس" الضباط تخفيفا عنه.. ثم أفرج عنه بعد ذلك فى مارس 1942 فى نفس الفترة التى بدأ فيها الألمانيان أبلر وساندى اتصالاتهما بى.. وبعزيز المصرى..

كان القدر دائما ضدنا فى هذه الفترة. ولكننا كنا نستفيد من القدر وجاءت الفترة التى أعقبت اعتقالى.. وتغير كل شئ..